عبد السلام ياسين مفكراً ومتكلماً

د.قدور أحمد الثامر

جامعة الأنبار/ كلية التربية القائم

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

أدرك الشيخ عبد السلام ياسين[1] أن المسلمين اليوم في حاجة إلى وجود (علم كلام

(١) هو: الأستاذ عبد السلام ياسين(المرشد العام لجماعة العدل والإحسان في المغرب) واسمه الكامل: عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن إبراهيم. ولد (١٣٤٧هـ) الموافق لـ١٩٢٨م في مراكش. كان أبوه فلاحاً فقيراً، لكنه كان ينتسب إلى أسرة عريقة تدعى «آيت بيهي»، وهم أشراف أدارسة أصلهم من بلدة «أولوز» بمنطقة سوس جنوب المغرب. تلقى دروسه التعليمية الأولى في مدرسة أسسها بمراكش الشيخ محمد المختار السوسي. ثمَّ أجيز من معهد (ابن يوسف) الذي كان يدرس فيه كبار علماء المغرب بعد أربع سنوات من الدراسة. تخرج من مدرسة تكوين المعلمين بالرباط سنة ١٩٤٧م، وعمل متدرجاً في مجموعة من المناصب التربوية والإدارية العالية، لمدة ٢٠عاماً مثَّل خلالها المغرب في عدد من الملتقيات الدولية. تم توقيفه عن العمل١٩٦٨م،ثمَّ أحيل إلى التقاعد القسري عام ١٩٨٧م.

كان «ياسين» سريع الحفظ والاستيعاب؛ إذ حفظ القرآن الكريم وأتقن أصول اللغة العربية واللغة الفرنسية. وكان نشيطاً ذكياً دعوةً وفكراً وتأليفاً ..وكان يقول: ((أعطوني عشرة رجال أصنعُ لكم منهم الأعاجيب)). وقد ناقش عدة مشاريع فكرية وتجارب أُممية، ثمَّ استوعب أطروحات الماركسيين والماويين للتغيير بشكل دقيق، فضلاً عن هضمه للتجربة التاريخية الإسلامية وتطورها وتفسير أحداثها وتحليلها.

أحس عبد السلام ياسين أن فراغا ثقيلا أخذ يطبع حياته، وبات يحس أنه يعيش إسلاماً بارداً ورتيباً. وإن كل ما كان يقوم به أصبح فاقداً للمعنى، بما في ذلك صلاته وصيامه وقراءته بل حياته كلها. وقد أصبح الرجل مهموماً من الداخل، يتساءل في نفسه عن سر الوجود والمصير والموت والجدوى من الحياة، ،، ثمَّ انتهى به الأمر إلى (الشيخ الحاج العباس القادري)، قال ياسين يصف تجربته معه قائلاً: ولقيت رجلاً أجلسني بين جماعة من المسلمين المساكين،، ونمتُ نومةً صوفية دامت ست سنوات، أَعَدْتُ فيها قراءة القرآن الكريم، وقراءة السُنَّة النبوية الشريفة بقلب جديد،،. وكان ياسين جريئاً إلى حد التهور، وكان يُحَذِّر أصحابه ويقول لهم إن السير في الطريق الذي اختاره قد ينتهي بالموت، فمن

جديد) يقوم بمهمة حراسة العقائد الإسلامية وفق منهج حضاري يأخذ في عين الاعتبار تغيُّر أساليب ومناهج الحوار والدعوة وفقاً لتغير الزمان والمكان، وهذا ما فعله في جميع مؤلفاته فتجاوز المنهج الذي سلكه علماء الكلام في العصور الأولى، إلى رحابة فكره وسعة اطلاعه غير المسبوق...، فعمل على تقديم الحلول لمشكلات الأمة العقدية والمصيرية، فوقف بوجه الفلسفات المناوئة بهمة عالية..، محاوراً ومدافعاً ومنتقداً، مستعيناً بمنهج قرآني رباني قائم على العلم والدراسة والمنطق والعقل، فهجر المنهج القديم المطبوع بالعاطفة والمشاعر الجياشة، التي تجاوزتها مناهج الدعوة والإقناع في هذا الزمان، ففي منهجه الدعوي الجديد ركز «ياسين» على الجوانب الإنسانية، والحضارية، والعملية، وربطها ربطاً محكماً بعقيدة الأمة وتجربتها الحضارية الفريدة[1]، ودرس الحضارة الغربية بموضوعية عالية ومجردة، بعيداً عن التعصب الأعمى، الذي يضر كثيراً بعقائدنا إن لم يكن مقنعاً وقائماً على العقل والمنطق السليم، ولا سيما في التفريق بين جناحي الحضارة: الثقافة والمدنية، فكان رده رداً علمياً رصيناً فأزال الشبهات وأبطل حجج الخصوم، وكشف عن أباطيلهم وزيف دعاواهم، ولم يدخر جهداً في حماية عقائدنا ونصرتها بما

أراد أن يبقى معي فمرحبا به، ومن أراد أن يبتعد فله ذلك ولاشيء عليه. وفي هذه المرحلة أوضح تفاصيل معالم المنهاج النبوي، تربية وتنظيما وزحفا، بعد أن كان أفكاراً عامة مبثوثة في كتاباته السابقة. وكان يقول: ليس في عنقي بيعة لأحد إلا العهد الذي قطعته على نفسي وهو: إخلاص النية لله،..جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، انتقل ياسين إلى رحمة الله بعد تدوين هذا السطور في ١٣-١٢-٢٠١٢م، في المغرب إثر مرض عضال.

*- تنظر: جريدة التجديد في حلقات، للدكتور: عبد العلي مجذوب، المغرب، أو المكتبة الألكترونية للشيخ عبد السلام ياسين،ويمكن للباحث تصفح معظم مؤلفات الشيخ ياسين عبر هذا الموقع.
www.yassine.net

(١) ينظر: المنهاج النبوي: ياسين: الشيخ عبد السلام، فرنسا، ط٢، ١٩٨٩، ص١-١٢.

أوتي من سعة اطلاع وفكر ومنطق وحجة قلَّ نظيرها في هذا العصر.
وقد قسمت بحثي على مبحثين وكل مبحث يتكون من مطالب:

- أما المبحث الأول فقد كان تحت عنوان:

أثر عبد السلام ياسين في بنية الفكر الإسلامي، وفيه مطالب:

المطلب الأول: منهج عبد السلام ياسين في تناوله لبعض آثار الفلسفة في الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني: موقف عبد السلام ياسين من أثر المتكلمين في بلورة الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: أثر عبد السلام ياسين في دلالة مفهوم (العدل) في القرآن الكريم.

- أما المبحث الثاني فقد كان تحت عنوان:

أثر عبد السلام ياسين في بنية الفكر الإنساني وفيه مطالب:

-المطلب الأول: فلسفته العقلية.

-المطلب الثاني: أثر العولمة في إعادة تكوين العقل المسلم.

-المطلب الثالث: أثر وسائل التربية والإعلام في بنية الفطرة الإنسانية.

ثم ختمت البحث بخاتمة وبعض النتائج.

المبحث الأول
أثر عبد السلام ياسين في بنية العقل الإسلامي

وفيه مطالب:

المطلب الأول:
منهج عبد السلام ياسين في تناوله لبعض آثار الفلسفة في الفكر الإسلامي

يتجاوز ياسين عصره بكثير حينما يُنَظِّرُ لأمَّةٍ قل فيها المُفكرُّون وَبَدَتْ تعيش بسذاجةٍ وعفويةٍ لا تُصدَّق، بَقِيَتْ قرناً من الزمان تسير خلف كلِ ناعقٍ وبُومْ، هذه الأمَّةِ المسكينةِ التي خُدِعتْ حينما وُعِدتْ بالخلافة العربية بدل الخلافة العثمانية، فسارت خلف سراب وعود المخابرات الانكليزية والفرنسية بقيادة رجل انكليزي الجوهر عربي المظهر[1]، فكان من نتائج هذه الخدعة خارطة (سايكس وبيكو) السرية، التي جعلت الدولة الواحدة المنيعة أكثر من ثلاث وعشرين دولة ضعيفة ، ولازال التشطير جارياً، وخدعت بالحروب التحريرية لفلسطين ففقدت كرامتها وهيبتها بين الأمم عملياً، فضلاً عن ضياع فلسطين وبعضاً من أجزاء البلدان المجاورة، وخدعت بدعوى الاشتراكية، والديمقراطية، والشيوعية، ودول الصمود، والتصدي،والممانعة، والمقاومة، وغيرها

(١) ذلك هو الإنكليزي: «ت،ل، لورنس» مؤلف كتاب (أعمدة الحكمة السبعة) الذي قاد ما يسمى بـ(الثورة العربية الكبرى) ١٩١٦م)، ينظر: الولاء والبراء في الإسلام، القحطاني: محمد بن سعيد بن سالم، دار طيبة، الرياض السعودية،ط١، ص٤١٥.

من الدعاوى الجوفاء، ممَّا يخجل ذكره، حتى جاء عبد السلام ياسين وبعض إخوانه من الدعاة العاملين فكشفوا اللثام عن كثير من المعادن الصَّدِئة التي كان يظنها سُذَّج العالم الإسلامي ذهباً، فكان من عاجل جهودهم: تصحيح في المغرب ومعظم أنظمة بلاد المسلمين القائمة، فضلاً عن ثورات أطاحت بأكثر من خمسة عروش زائفة، وظالمة، قال ياسين:

((تَحْدُثُ بين الفينة والأخرى صِدامات دامية في الكليات والأحياء الجامعية بين الطلبة الإسلاميين والتنظيمات اليسارية الماركسية. نسمع عن ذلك ونقرأ خاصة في البلاد التي لم تتم فيها سيطرة الإسلاميين على الساحة. هذه المشادَّات تعَدُّ لَعِبُ أطفال إذا ما قورنت ببأس ببعض الأنظمة التي تلتحف بالشعارات الإسلامية وتقاتل الإسلاميين بسلاح الحديد والنار وسلاح أيديولوجية مارقة تتمسح بالإسلام لتنسف العقيدة الإسلامية نسفاً))[1]، أضف إلى ذلك قائمة من المفكرين المرتزقة والمستأجرين الذين ذكر بعضهم ياسين من مثل: علي شريعتي، و«حسن حنفي» وهو زعيم من زعماء من يُسمون أنفسهم «باليسار الإسلامي» لنأخذ حِذْرنا منهم اليوم، ولنُعِدَّ العُدَّة لغدٍ تكون بأيدينا الوسائل لنطهر مؤسساتنا التعليمية من مشغّلي الطاحون الإلحادي، ولنغير النظام التعليمي الغربي الموروث من أساسه.

– قال الدكتور حسن حنفي في كتابه «التراث والتجديد»: هذه «المقدمات»...

–محاولة لإعادة بناء علم أصول الدين التقليدي كأيديولوجية ثورية للشعوب

(١) بلغ ذلك مبلغا لا يصدق ولاسيما حينما يذبح الشعب السوري بفتاوى علماء السوء، ومحاولة القوى العلمانية في مصر وئد الثورة المصرية باسم الدين والديمقراطية فضلا عمَّا حدث للثورة الليبية والتونسية ممَّا لا يخفى على أحد.

الإسلامية تُمد بأسسها النظرية العامة وتعطيها موجهات السلوك»[1]. وقال عن الهدف السياسي لمشروعه:

* «تجديد التراث هو حَلٌّ لطلاسم القديم وللعُقَدِ الموروثة، وقضاء على معوقات التطور والتنمية والتمهيد لكل تغيير جذري للواقع. فهو عمل لا بد للثوري من أن يقوم به، وإلا ظل القديم شبحا ماثلا أمام الأعين يمثل أشباح الأسلاف التي تُبعَث من جديد، تتربص بالأبناء شراً إذا هم خرجوا من جُبَّتهم، ورفضوا سلطانهم، ولم يدينوا لهم بالطاعة والوَلاء» أ هـ.

يقول ياسين: مشروع الدكتور أن يسحب البساط من تحت أرجل الإسلاميين ويستنقذ الأبناء من تحت جبتهم الظلامية ليستغل «المخزون النفسي الديني» لدى الجماهير. وعبارة «المخزون» تنِم عن اللصوصية السياسية المؤسِّسة لفكر ((حنفي)) وأمثاله المنحرف[2].

ويُعَرِّف الفيلسوف الدكتور((حنفي)) الإلحاد ومزاياه قائلا:

* الإلحاد هو تَطابقٌ مع الواقع، ووعيٌ بالحاضر، ودَرء للأخطار، ومرونة في الفكر، وفضح لشتى أنواع الاستعمار والسيطرة على كل المستويات. ويُسعد الغربَ اتهامُ كل محاولة للتوعية الثقافية للمواقف الحضارية المستنيرة بالإلحاد لأنه يبغي المحافظة على الإيمان القديم، ويزايد على أهل الدار،. ثمَّ يقول ياسين: أخذ هذا الرجل يتكلم في المصطلحات والمفاهيم بغية خلط الأوراق فقال: «ولما كان لفظ «دين» قاصراً عن أداء المعنى، فإن لفظ «أيديولوجية» أقدر منه على التعبير عن الدين المعْنِيّ وهو الإسلام وإيصالِ معناه،...ثمَّ يتطرق حنفي إلى مفاهيم أخرى كمفهوم ،الوحي، والإسلام،

(١) ينظر: حنفي: د.حسن، كتاب «التراث والتجديد»، دار التنوير للطباعة والنشر، ببيروت، ١٩٨١م، ص٧.

(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٣٦٤.

والأحكام الإسلامية الخمسة[١]، وغيرها من المفاهيم الإسلامية بغية تضييع القارئ ثم قيادته إلى ما يريد من بعد ذلك[٢].

يقول ياسين في ذهول من جرأة هذا الرجل: أريد أن يطَّلع الإسلاميون على أنموذج للكيد تضحك منه صبيانيات المستشرقين[٣]. فحتى كلمة دين وإسلام لا معنى لبقائها مَعلَمةً على قديم ديني يجب أن يُنبـذ مع قديم الظلم الموروث ..كما يحلو لحنفي أن يفعل، تمهيداً لنسف أسس الدين من جذورها.

ثمَّ يقول ياسين: قرر حنفي أنه لا يوجد مبرر للتحليل والتحريم فيلغي الأحكام الخمسة بجرة قلم فيقول: ((هي ألفاظ توحي بأن الإنسان ما هو إلا آلة للتطبيق، وأنه فاقد لحريته)). ولم يترك الأمر عائماً بعد أن أبطل الأحكام الخمسة بل وضع الدكتور الفيلسوف البديل فقال: إن التعبير بألفاظ أخرى مثل الطبيعة، والانطلاق، والازدهار فيها تأكيد للذات، وإثبات لحريتها، وتحقيق لوجودها، ممَّا يعني: أنه لا وجود لجنة أو نار، ولا لربٍ أو آخرة في عقيدة «حنفي»، إذ قال: فالعمـل، والحرية، والشورى، والطبيعة، والعقل، كلها ألفاظ عقلية في علم التوحيد لا يمكن للعقل أن يرفضها. أما ألفاظ الله، والجنة، والنار، والآخرة، وغيرها..، فهي ألفاظٌ قطعيةٌ صِرْفَةٌ لا يمكن للعقل أن يتعامل معها دون فهم أو تفسير أو تأويل[٤].

ثم يقول ياسين: وأُورِدُ مع هذا الكلام زبدة الفلسفة الحنفية لنحملق بتعجب في

(١) هي: الواجب، الحرام، المكروه، المندوب، المباح. ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٣٦٦.

(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٣٦٥.

(٣) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٣٦٥.

(٤) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٣٦٦.

وجه البشاعة الإلحادية الشنيعة لحنفي ، قال حنفي: فلفظ «الله» يستعمله الجميع دون تحديد سابق لمعنى اللفظ، فهو بزعمه عبارة عن تعبير أدبي أكثر منه وصفا لواقع، وتعبيرٌ إنشائي أكثر منه وصفا إخبارياً،.. ثمَّ قال: فالله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبَد هو الحرية، وعند المظلوم هو العدل، وعند المحروم عاطفيا هو الحب، وعند المكبوت هو الإشباع، أي أنه في معظم الحالات «صرخة للمضطهدين».ثمَّ قال الفيلسوف الدكتور: ولفظ ((الله)) في مجتمع يخرج من الخرافة هو: العلم، وفي مجتمع آخر يخرج من التخلف هو: التقدم. فإذا كان الله هو أعز ما لدينا وأغْلى ما لدينا، فهو: الأرض، والتحرر، والتنمية، والعدل. وإذا كان الله هو ما يقيم أوَدنا وأساس وجودنا فهو: الخبز، والرزق، والقوت، والإرادة، والحرية. وإذا كان الله ما نلجأ إليه حين الضرر، وما نستعيذ به من الشر، فهو: القوة،والعتاد، والعُدة، والاستعداد. (حاشا لله من هذا الكفر)، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير)[1].

ثم يقول ياسين: هكذا يتكلم الصرحاء من خريجي الطاحون العلماني، بعد قرن من بِدايات صَنعة كرومر. ويبدو أحمد لطفي السيد وطه حسين أشباحاً باهتة بإزاء جرأة هؤلاء الكافرين المجددين. (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِم)[2].(سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)[3][4].هذا واحد من المفتونين بالحضارة الغربية تناوله عبد السلام ياسين بالنقد والتعرية.

وكان له تشخيص صائب لمشكلات العصر الفكرية فقرر أن الحضارة المادية،

(١) الشورى:١١.
(٢) الحج:١٨.
(٣) النور:١٦.
(٤) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٣٦٧.

والفلسفة الوضعية والتصور الجدلي التاريخي للإنسان والمجتمع تركت أثراً سيئاً في المجتمعات الإسلامية، ممَّا أفقدها الروح والسكينة والطمأنينة والبراءة التي تميزت بها عن جميع المجتمعات الأخرى، فدل خطابُ فلاسفتها على الخَواء من الإيمان وعلى الغربة الكاملة عن الدين، وعن ذكر الله تعالى، وعن الآخرة، وعن التقوى والورع وغير ذلك من القيم الفريدة لهذه الأمة..

قال ياسين متعجباً: لعل الحوار مع العسكري يكون إليه مسلك أهون وأقرب من المسلك إلى محاورة المتفلسف المُتشبع بأفكار رَضَعها وتمثلها وسكنت في فكره وطبعه، وطبعت نمط حياته ونظرته للحياة والكون، ومن ثمَّ حكمه على الأشياء والناس بمنهجيته العقلانية الطاغية، لأنه اكتسب «مَنَعَة» ضد الإيمان بما أودعته المناهج الفلسفية التي تعرض "لإشعاعها" المميت وعدوانها من الشك والتشكيك ومركزية الإنسان في الوجود وعقيدة أن الله تعالى فكرة تتطور مع العصور، وأن الإنسان خلق فكرة الله تعالى في نفسه لا العكس الذي عرفناه من الوحي ودين الفطرة، فإنْ رَبَطَ أساتذة الفلسفة خريجو الطاحون الغربي منهجية الشك بنضاليةٍ لبراليةٍ تقدِّسُ الحرية، أو بنضالية تقدمية تنشدُ العدل، اجتمع على المتلقي عاملان يخربان أصول الفطرة، ويحفران جذورها، ويدوِّخان فروعها، ويطمسان رسومها[1]:

- عامل فكري منهجي فلسفي.
- وعامل سياسي نضالي نفسي.

وكأني بياسين يشترط الرضاعة الفطرية الإسلامية للطلبة قبل أن يسمعوا للمفتونين بالحضارة الغربية يقول ياسين: ((فإن كان الطالب قد بلغ الثانوية والكلية وما معه

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٤٩.

من سلالة الفطرة وهداية الوحي ما يبصِّرهُ بضلال الأستاذ فقد تمددت الضحية أمام الجزار))[1]، وهذا هو سر تركيز مدارس التنصير في عالمنا الإسلامي على قطاعات التعليم والإعلام..إذ استحوذت وسائل الإعلام ولاسيما التلفزيون على النفوس الطرية فَنَفثَت فيها من سمومها قبل أن تُتاح الفرصة للكلم الطيب ليصلح بذْرُها ونَماؤُها وثبات نبتها وإثمار فرعها، فأنتج الإعلام الأسر المفكَّكَةُ، وأدى إلى تخلى الأمهات والآباء عن واجب التربية الفطريَّة، لجهلهم بأصل الدين.. وهكذا تبقى الأرضيَّة النفسية خاليةً قاعا صَفْصفاً من غِراس الإيمان، حتى إذا جاءه نداءُ الفلسفة الملحدة أنبتت أشواكَ الشك وحنظلَ الكفر وعَلْقَم الإلحاد...عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة" وزاد البخاري: فأبواه يُهَوِّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه. تُنْتَجُ البهيمة بهيمةً جمعاءَ، هل تُحِسُّون فيها من جَدْعاءَ؟! . ثم يقول: اقرؤوا:) ..فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّم)[2]"[3].

يولد المولود على الفطرة، أي على الاستعداد لتلقي الإيمان والاستقامة عليه. وإنما تُجْدَع فطرتُه وتُقطع وتُبتَر بفعل العامل التربوي، بفعل الأبوين أساساً. إما يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه إن كان ذاك دينهما، أو يحفظانه مؤمنا بالله وباليوم الآخر إن كانا مؤمنين راعيين لمسؤوليتهما التربوية قادرَيْن عليها، يشِع من قلبهما وسلوكهما وكلامهما

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٤٩.

(٢) الروم:٣٠.

(٣) البخاري: صحيح البخاري: تحقيق. د.مصطفى ديب البغا: دار ابن كثير، بيروت، ط٣ ،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، رقم الحديث(١٢٩٢)، ج١، ص٤٥٦. وينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٥٤.

ورفقهما وعنـايتهما هداية الوحي. وإلا تخليا عن وظيفة الهداية الفطرية وزُحزِحا عنها[1].

ثم ينبه الأستاذ ياسين على قضية هي في غاية الخطورة في الفكر الإسلامي ألا وهي قضية الأمانة في التربية والتعليم فإذا أسندت هذه الأمانة الخطيرة إلى هؤلاء الفلاسفة.. فقد ضاعت أمانة التعليم ولاسيما إذا نُعِتَ الدين بالرجعية والتخلف. فتفعل الكلمة فعلها في النفوس الغضة العزلاء، ولاسيما إذا شفعت بالحجة الفلسفية، المعزَّزةُ بِسلطان الأستاذية وسحرها المَنهج[2].

ولأجل هذا يشترط الأستاذ ياسين التحصين فكريا وعقديا قبل التلقي عن هؤلاء المجرمين، الذين صوروا الدين للمتلقين وكأنه كهانة سبقنا الغرب إلى حربها وتنحيتها من الساحة وطردِها من الوجود السياسي منذ قرون، وهذه جريمة حقيقية يرتكبها هؤلاء حين يقارنوننا بالعالم الغربي الذي ركل القيم الدينية الكنسية بقدميه منذ قرون، من دون عرض الأسباب الحقيقية التي جعلت الغرب يُقصي الكنيسة عن مسرح الحياة، وهل هذه الأسباب موجودة في ديننا الإسلامي الحنيف حتى يتكرر المشهد[3]..

ولتحقيق مآربهم قال ياسين: [فقد اتخذوا منهجية فلسفية خطيرة في ضوء تلبية

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ٤٥٤.

(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ٤٤٩.

(٣) من أهم هذه الأسباب:

١- التحالف بين الحكام الظلمة والكنيسة ولذا قال الفرنسيون في ثورتهم أشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس.

٢- لأن الكنيسة حاربت العلم والعلماء وكانت عقبة كئود في وجه التقدم العلمي.

٣- بسبب الطبيعة الدينية الخرافية والمزيفة للكنيسة والتي أخذ العقل الغربي السليم والمنطق العلمي ينفر منها وينبذها فعمل على إقصائها وحصرها في الجانب التعبدي فقط. وكل هذه الأمور الإسلام بعيد عنها بعد المشرقين بفضل الله، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٤٩.

الحاجات الجسدية الهابطة وفي ضوء حرية مطلقة لمعتنقي هذه الفلسفة وذلك لتحقيق أهدفهم، قال القس زويمر في مؤتمر التنصير يخاطب المنصرين في القدس قائلاً: ((... مهمة التبشير التي نَدَبَتْكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريم. إنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها. وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية. وهذا ما قمتم به خير قيام. وهذا ما أهنئكم عليه))][1].

فا تخذوا المنهجية الآتية لتحقيق أهدافهم كما يقول ياسين:

قامت منهجيتهم على الفلسفة التأملية السقراطية إذ تلخص هذه الفلسفة الوجود في أفكار، ثمَّ تفصله في مقولات،.. وكان المذهب الأفلاطوني يفترض مُثُلا عليا تتراءى في نورها المزعوم حقائق الوجود «لساكن الكهف»، هذا الإنسان الغامض الغريب.

ثمّ قال ياسين: علماؤنا الأولون ردُّوا على الفكر الفلسفي بما مُؤَداه أن العقل لا يناقض الوحي، وليس على العقل بعد أن يؤدي وظيفته إلا أن يجلس من الوحي مجلس التلميذ ليستمع ويمتثل، ووظيفته أن ينظر في ملكوت السماء والأرض وفي نظام العالم حتى يقتنع أنه لا بد للوجود من موجد، وحينها سيستقبل ما تمليه النبوءة من أخبار الغيب. وهكذا يفسر «الشيخ الرئيس» ابن سينا الإسلام تفسيره الفلسفي المعروف، فينظر إليه من خلال مزيج من الفلسفات الغازية، ومزيجٍ من مذهبه الإسماعيلي الوثني. أما ابن رشد فقد فصل الدين عن الفلسفة ليثبت للدين وجوداً ومشروعيةً وعقلانيةً، يمكن تقبُلَها، كما يثبت مشروعية ما للفلسفة[2].

(١) ينظر: سنة الله، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٢٨٢.

(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ٤٥٠.

ثم يقرر ياسين الموقف مِمَّن طُبع على قلوبهم من المتفلسفة فيقول: أما أصحاب العقول المُشْبَعَةُ بالمنهجيات الفلسفية المادية في عصرنا.. فقد جعلوا الجدل مُنْصَبٌ على الأسلوب الذي ينبغي اتخاذه للقضاء على رواسب القرون الوسطى، وهي تتمثل بزعمهم (في الدين والرجعية).

وأنا اتفق مع ياسين في أن هؤلاء قد قطعوا صلتهم بالماضي الإسلامي وسمَّوا التمسك بفضائل الإسلام رجعية مستنسخين تجربة العالم الغربي وإنزالها في غير منـزلتها وفي غير مجتمعها وهذا يدلل على عمق تخلفهم وشدة جهلهم بالإسلام وقيمه الحضارية التقدمية. أما في عصرنا، عصرِ «المعجزات» العلمية المذهلة والصخَب العلمي، فيقول ياسين: ((.. جل ما جادت به الفلسفة الحديثة منذ ديكارت فلسفة تمرُّدٍ وتألُّهٍ وجبروت. يقول الفيلسوف: «أنا!»، وليس لديه أي استعداد للبحث عن أنِّيَّتِهِ خارج عقله. قال ديكارت: «أنا أفكر إذا فأنا موجود». واتخذ الفلاسفة من بعده هذه المُسَلَّمَة المعتوهة أساسا منهجياً))[1]. فانطلقوا من الأنا إلى الوجود وليتهم خطوْا الخطوة المهمة الأخرى وهي السجود لواجب الوجود والتسليم له وحده، ثم صححوا مقولة ديكارت السابقة بقوله تعالى: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون)[2]. مادام قد قال إنني «لستُ إلا شيء يفكر» هذا معناه أن معنى الإنسان ووظيفته منحصرة في وظيفته العقلانية. وصحيح المنقول لا يصادم صريح المعقول لو كانوا يعلمون،أو لو أنهم سَلِموا من لوثتهم الفكرية[3].

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٥٢.

(٢) البقرة:١٥٢.

(٣) ينظر في هذا المجال: درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام، بتحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، ج١، ص٢٠ – ٢٥.

ثم يهاجم ياسين أساتذة الفلسفة الإلحادية قائلا: يعرِضُ الأساتذة الفلاسفة الملحدون المناضلون على النفوس الغضة الضحية مآثر العقول الجبارة من سقراط إلى دِيكارت، ومن لوك إلى كانت، ومن هيجل إلى ماركس، ومن سارتر إلى هايدجر. ويُغرقون العقول الساذجة في لفظيات الفلسفة وجُمَلِيَّات الأيديولوجية فيتشربها العقل الناشئ على ظمئ إلى المعرفة، فيظهر وكأنه كان مغيباً عن هذا الفتح الفلسفي الجديد الذي صور العالم الغربي وهو يتبجح بمكاسبه الفكرية والعلمية والتقنية بعد التحرر من نير الكنيسة وقيودها.

ثمَّ يخلص ياسين إلى نتيجة مهمة في حربه على الفلاسفة بعد أن أسأمه الجدل معهم فيقول: إن نقدنا للفلسفات الفاعلة في عصرنا لا يصلح له إلا الفعل، وأوكل هذه المهمة إلى سلطان المسلمين، وأوجب عليه التحرك سريعاً لاستنقاذ النشء من مخالب الفلاسفة الملحدين[1].

وقال: كان لا بد من إقامة سدٍّ عقلي أمام هجوم العقلانية الفلسفية الزندقية لحماية الدين والدفاع عن معتقدات المسلمين وثوابتهم، أما من اشتد مِراسُهم من المبتدعة والزنادقة فجلوس المتكلم المجادل معهم يغذي غرورهم ويزيدهم تمسكاً بضلالاتهم[2].

المطلب الثاني:

موقف عبد السلام ياسين من أثر المتكلمين في بلورة الفكر الإسلامي.

قد يغفل المرء عن التفريق بين علوم الفقه وعلوم الفكر وقد يكون عالماً وباحثاً في العلوم الإسلامية وشعائرها ولكنه يجهل الكثير عن مشكلات الفكر الإسلامي وهمومه، ولا يعرف شيئا عن عقائد الفرق الإسلامية المختلفة..وإن علم شيئاً ربما يَعُدُّ الخوض

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٥٣.

(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٥١.

في هذا العلم عيباً ومعرةً، لِمَا ترسخ في عقله من ذم الكلام وذم الخوض فيه، إلاَّ أنَّ عبد السلام ياسين سبر أغوار هذا الفكر في أعقد مسائله، ولم يقلل هذا الجهد من تركيزه على منهج وأسلوب القرآن الكريم في مخاطبة فطرة «الإنسان» وتذكيره بنشأته ووجوده ولفت نظره إلى ما في الوجود من دلائل وإيحاءات تدل على وجود الله وعظمته، وحثَّ ياسين المتكلمين على التمسك بمنهج القرآن الكريم وهو يستنقذ فطرة الإنسان من الركام، ويُخلِّص أجهزة استقباله مما ران عليها وعطَّل وظائفها، ويفتح منافذ فطرته لتتلقى المُوحيات المُؤثرة فيها ثمَّ تستجيب لخالقها وتسجد له شكراً وامتناناً[1].

يصف ياسين بعض أنصاف المثقفين دينياً بالمعتزلة الجدد وكان لهؤلاء من المعجَبين بهم، مع أنهم كان لهم قدَمٌ في الدين وقدمٌ في الفلسفة، وتديُّنهم كان قِشْراً لبه الفلسفة والسياسة. وقرر ياسين أن جدلهم عن الدين كان تسلِّيا في الحرب المذهبية عن مرارة الغضب على واقع زمانهم. ثم تفاعلوا مع الفلسفة الإغريقية وتوغلوا فيها حتى غاب عنهم القصدُ الأوَّلُ في الدفاع عن الدين، وغلبت عليهم صبغة الحِجَاج والنظر، ويَجمَع المعتزلةَ الأولين ومعاصرينا المعجبين أن أولئك فلسفوا الدين بينما هؤلاء يحاولون تديين الفلسفة[2].

ثمَّ ينتقل لمحاججة المعتزلة فيقول: ((لا نحب أن نسمي تراث المعتزلة رُكاما، ولا أن نتدخل في تفاصيل «أجهزة استقبال» من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا ﷺ رسول الله. لكننا نضع المعتزلة الأولين في مكانهم التاريخي حيث وضعهم أهل السنة والجماعة..))[3]،

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٦٣.

(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص-٤٦٤-٤٦٥.

(٣) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، المكي: أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني، بتحقق: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة

ثم يعترف بفضلهم وجهدهم وجهادهم في الدفاع عن عقائد المسلمين ولا ينكر فضلهم على الأمة في يوم عزَّ فيه النصير وقلَّ فيه الخبير فقال: كان المعتزلة الأولون فرساناً حماة للعقيدة، ثم انتزعوا من الفلسفة الغازيَةِ سلاحها ليدافعوا به عن الدين[1]. ثم خبت نارهم ليوقدوا نار الفتنة العقدية، ففلسفوا الدين وتاهوا في النظر العقلي، وقالوا بخلق القرآن، وتألبوا مع السلطان العباسي المأمون فأسرفوا في استخدام القوة لفرض آرائهم، فكانت محنة الإمام أحمد رحمه الله التي لن تنساها لهم ذاكرة الصالحين[2].

وقد أيد ياسين سيد قطب في دعوته للمتكلمين قائلا: ((تعالَوْا إلى عقيدة ما قبل الخلاف والفلسفة وعلم الكلام)). وقال ياسين: إنَّ سيد قطب واحد من المثقفين ساقته الهداية الإلهية من مضايق الفلسفة وأسواق الثقافة إلى فُسُحات الإيمان، فحدَّثنا عن الفطرة قائلا: «إنه (القرآن) لم يعرض (قضية العقيدة) في صورة «نظرية» ولا في صورة «لاهوت»! ولم يعرضها في صورة جدل كلامي كالذي تزاولونه من علم الكلام وتشقيقاته، فالأحرى بكم إتباع هذا المنهج [3].

أما في مسألة مشاهدة الباريتعالى فإن الشيخ عبد السلام ياسين يكرر موقف أهل السنة في الموقف من موضوع رؤية الباري تعالى فيتبِّع أكثر علماء أهل السنة في إثباتها، وخالفَ المعتزلة جمهور العلماء فزعموا أن رؤية الله بالأبصار مستحيلة كما زعم ذلك الجهم بن صفوان وأتباعه من المعطِّلَةُ. واستدل المعتزلة على رأيهم المخالف لإجماع

المنورة، السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٤.

(١) العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ٤٦٢.

(٢) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، المكي: أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني، ص١٤.

(٣) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٦٢.

علماء أهل السنة بأدلة منها قوله تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَار)[1] حجة حاسمة في الباب، وقولهتعالى لموسى: (لَن تَرَانِي)[2] نفي يستغرق المستقبل دنيا وأخرى. وأولوا قوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[3] بأنها من الانتظار لا من النظر. هذا ما استخلصتُه من عرض ياسين لموقف المعتزلة من موضوع الرؤية[4].

وندد الأشعري برأي المعتزلة، وأثبت الرؤية مستدلاً بقوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[5] ومستظهرا بالنظر العقلي الذي يثبت أن كل موجود يمكن أن يرى، ووجوده هو الشرط لا جسميته، والله تعالى موجود. وقد سلك هذا المسلك أئمة الأشاعرة جميعاً، ومنهم الإمام الإيجي إذ وصف هذا المسلك بأنه طريقة القاضي الباقلاني في إثبات رؤية الباريتعالى، فقال «..والعُمْدةُ فيه مسلكُ الوجود. لأن العدم لا يصلح أن يكون علة للرؤية. فلم يبق إلاَّ مسلك الوجود، فهو علة صحتها، وإن هذا يوجب أن تصح رؤية كل موجود»[6]. وهي ممكنة عقلاً، وواقعة في الجنة للمؤمنين نقلاً إذ إن الله تعالىموجود وكل موجود يمكن رؤيته من غير كيف أو تمثيل أو تشبيه... وفي دعاء النبي ﷺ: "وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مُضِرَّة ولا فتنة مُضِلة"[7].

(١) الأنعام:١٠٣.
(٢) الأعراف: ١٤٣.
(٣) القيامة: ٢١-٢٢.
(٤) ينظر: الإحسان، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٨٥-٨٧.
(٥) القيامة: ٢١-٢٢.
(٦) الإيجي/ المواقف ص ٣٠٢. والباقلاني وآراؤه الكلامية، عبدالله.د.محمد رمضان، ط مطبعة الأمة،بغداد،١٩٨٦م، ص٥٦٥.
(٧) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد، بتحقيق: شعيب

ثمَّ إن دعاة الاعتزال في الفكر الإسلامي ابتلوا بعقول كبيرة وجبارة من مثل واصل بن عطاء والجبائيين (أبو هاشم، وأبو علي) والنظَّام والزمخشري وغيرهم، ومع هذا فإنهم لم يقووا على فهم حكمة الوحي، وترددوا في الإذعان له، فوقع متأخروهم في الزيغ والغلو العقدي[1]. إذ العلم وحده قد لا يؤدي إلى النجاة إن لم يصحبه تقوىً وورعاً وتواضعاً، فتقدمت عليهم فرقة الأشاعرة كونها تتميز بالوسطية والاعتدال والتواضع ممَّا أهلها للقيادة الفكرية في العالم الإسلامي كله، ولو أن المعتزلة جعلوا العقل خادماً للنص يهتدي بهديه ويستنير ببصيرته المطلقة لَمَا تقدم عليهم أحدٌ أبداً ولَمَا كانت هناك حاجة لخروج أبي الحسن الأشعري من المعتزلة في (جامع البصرة الكبير) وشروعه بتأسيس المذهب الأشعري الخالد[2]. ولكنهم كما يقول ياسين بنَوْا أمرهم على توازن وموازنة بين العقل والنقل، وقدموا العقل فجعلوه «أمَّ الأصول» وجعلوا العقل المحلِل والمُنتقِد وحَسيباً على النقل. بينما نجد الفقهاء من أهل السنة والجماعة يرتبون الأدلة الشرعية ابتداء من القرآن فالسنة فالإجماع فالقياس..الخ، فيجعلون التعليل العقلي واستنباط الحكم آخراً، نجد المعتزلة يرتبون العقل أولا ثم يسندون إلى سلطته الكتاب والسنة والإجماع، حُجَجُ العقل عندهم وعلمُ الحس، «قاضيةٌ على حجج السمع وحاكمةٌ على أمرها»[3].

يُثبِتُ المعتزلة الجدد، وهم دعاة العقلانية ومن بينهم من يُعَدُّ من الدعاة الإسلاميين، أن الإنسان يصنع مستقبله، وأن الدنيا غِلابٌ ويلٌ فيها لمن لا قدرة له ولا إرادة ولا تدبير

الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م،ج٥ص٣٠٥.

(١) ينظر: الإحسان، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ٨٦.

(٢) أبو الحسن الأشعري، السعدي: حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي، نشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٦، ١٣٩٤هـ - فبراير ١٩٧٤م. ص٦٣.

(٣) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٦٤.

ولا عقل يفعل في التاريخ ويؤثر فيه. وقد قاوم ياسين منهج هؤلاء في الفكر الإسلامي الحديث ولاسيما المثقفين المفتونين بالعقل والعقلانية ومن اختلطت عليهم الرضَاعَة الفطرية بصَبيبِ الرضَّاعة الصناعية الفلسفية، فهم بَيْنَ بَيْنَ. هم على لسان أنفسهم في دائرة الإسلام ومن أهل البيت الإسلامي. هؤلاء سمَّاهم ياسين بالمعتزلة الجُدُد المشغوفين بسلفهم المعتزلة الأوَلِ. يقول ياسين: هؤلاء وجوهٌ نبتسم إليها ونرحب بها ونحاورها، وبيننا وبينهم المستقبل، وبيننا وبينهم شرع الله، نَرى هل يتولَّوْنَهُ أم يتأَوَّلونه كما فعل سلَفُهم. ونحن ندعوهم إلى عقيدة عقل ما قبل الخلاف وما قبل إنشاب الفلسفة أظفارها في عقول المسلمين [1]. ومما يزيد معاصرينا المثقفين إعجابا بالمعتزلة أنهم كانوا «تقدميين» قبل اختراع الكلمة. كانوا قد خرقوا حواجز العصبية القبلية وحواجز الحسب والنسب والثروة والسلطان[2].

وفي مسألة التعايش بين فصائل الإسلاميين،أكد على وحدة الدين والهدف والمنهج ووحدة المصير، فيقول: أهل الصدق والإيمان ينبغي أن تؤَسَّسَ عُقُودُهم وعهودهم على الوَلاية الواجبة بين المؤمنين ولاسيما أن الدين أمرنا بالمحبة التي تجمع ولا تفرق وتيسر ولا تعسر. وبها أمرنا الحبيبﷺ [3] بنصوص يبلغ ورودها حد التواتر.

المطلب الثالث:
أثر عبد السلام ياسين في دلالة مفهوم (العدل) في القرآن الكريم

يتصدر مطلب العدل كل المطالب في البرامج السياسية الجادة. والعدل الذي أمر الله به هو: أهم ما تتطلع إليه الأمة المسلمة وتشرئب إلى تحقيقه جميع طوائف الأمم المستضعفة في الكون.

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٦٠.
(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٦٤.
(٣) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٢٤٩.

يقول ياسين: نحن ننطلق من أمرِ ربنا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[1] فالعدل عقيدتنا وديننا، ثمَّ ينتقد المعتزلة أشد النقد في تمسكهم بمبدأ العدل القدري وفهمهم الخاطئ لصفة العدل الإلهية، فيقول: لهم دعونا من قدَرِيَّـةِ سلَفكم الذين يقصدون بمبدأ العدل الاحتجاج بعدل الله تعالى ليتقدموا بعقيدة (خَلْقَ الإنسان فِعلَه واقتدارَهُ)، وذاك خللٌ في العقيدة[2]. وفي خلق الأفعال وحرية العبد الإنسانية، قال المعتزلة: إن العبد خلق أفعاله بقدرته وإرادته الحرة، وأنه ليس مجبوراً على شيء يفعل إن شاء الله وإن لم يشأ الله لم يفعل. لكنه حر في التصرف على كل حال. لهذا يُثابُ على الطاعة ويعاقَبُ على المعصية. وبهذا سمَّوْا أنفسهم «أهل العدل» يقولون: إن الله تعالى منـزه عن ظلم العباد، فلو كان الأمر غير ما يثبتونه للعبد من إرادة حرة وقدرة خالقة، واستقلال كامل لَمَا كان الله عادلاً، ولكان عقابُه للمسيء ظلماً، وإثابته للمحسن محاباة[3]. وهنا الشيخ ياسين يبدو في أقصى درجات الفكر والكلام حين يخوض في مبدأ الحرية الذي يُعَدُ من أعوص المشكلات التي شغلت بال المتكلمين منذ القدم، فقرر أن أفعال العباد مقدورة وتقع تحت قدرتين أو تحت مؤثِّرين:

(١) النحل: ٩٠.

(٢) ومن الجدير بالذكر أنَّ للمعتزلة أصولاً خمسة، وافقوا أهلَ السنة والجماعة في أربعة منها وشذوا في الخامسة. وافقوهم في:- أصل العدل لفظا: وهم يقصـدون به عقيدتَهم القدريَّة، ويقصد به أهل السنة ما أمر الله به من حكم وعدل بين الناس.- ووافقوهم في التوحيد، -والوعد والوعيد، -والأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر. وشذوا في حكمهم على مرتكب الكبيرة، إذ جعلوه في- «منـزلة بين المنـزلتين»، لا هو مؤمن ولا هو كافر. بينما يلتمس له أهل السنة سبيلاً ومخرجاً للمغفرة.ينظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنـزيه، علي: أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٤١.

(٣) ينظر: الإحسان، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ١٢٣- ١٢٥.

– قدرةِ العبد الفاعلة الضعيفة(الجزئية).

– وقدرة الله تعالى الخالقةِ (الكلية والمطلقة) والفاعلة الحقيقية، قال تعالى :(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللَّهَ رَمَى)[1] فلم يترك الله الرمي لمحمد ﷺ كفطرة وطبيعة وقانون، بل تدخل في رميته مرتين، مرة حين أقدره ومكنَّه، ومرة حين وفقه وسدد رميته.

وقال الأشاعرة: إن قدرة العبد الكَاسِبَةَ المحْدَثَةَ لا تأثير لها في إحداث الفعل الذي هو من فعل الله تعالى على الحقيقة[2]. وفي مبدأ خلق الأفعال استدل خصوم المعتزلة على قولهم: بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)[3]. قالوا: وهذا نص على أنه تعالى خالق لأعمال العباد، وتأويلها أن الله خلقكم والحجارة التي تعملوها أصناماً قد خلقها أيضاً بدليل قوله تعالى: (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)[4]. ومثله قوله تعالى: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ)[5] قالوا فإنه سبحانه نفى أن يكون معه خالق آخر فيجب أن تنسب أفعال العباد إليه. ونسبة أفعال العباد إليهم نسبة حقيقية يتصادم مع قوله تعالى:(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)[6].

وقال ياسين: المعتزلة يؤمنون بمبدأ «العدل» القدَري الذي ينسب الاختيار المطلق للعباد، لا يقبلون أن يمسح العباد خطيئاتهم في القدر. ولا نقبل، لكننا نومن بأن الله جلت عظمته خلقنا وما نعمل، ولنا الكسب وعلينا المسؤولية..[7]، ثم يضع ياسين حلا

(١) الأنفال: ١٧.
(٢) ينظر: الإحسان، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١٢٤.
(٣) الصافات:٩٦.
(٤) الصافات:٩٥-٩٦.
(٥) فاطر:٣١.
(٦) الزمر:٦٢
(٧) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٦٥.

ومخرجاً للتوفيق بين المؤثِّرين(قدرة الله وقدرة العبد) فيقول: فإذا جاء أمر الله الكونيُّ وقدرُه المحتوم بما لا طاقة للعبد به ولا حيلة في دفعه رضيَ بقضاء الله وقدره، وحينها سيكون (الرضا) له قوةً لا ضعفاً، انتباهاً لا خمولاً، مشاركةً مأجورةً وإيجابيةً لا معاناة سلبية مهزومة، كونه أخذ بالأسباب وبذل الوسع ولم يتواكل، وفي هذا السياق يقول ياسين: ..فإنَّ ما قدره الله يقع بسبب ويرتفع بسبب، فمُسارعتك إلى الفعل واجتهادك فيه هو جزء من القدَر، ولن يحصل مُرادك على كل حال إن لم يكن حصوله مقدّراً. إحرص على إحراز أفضل النتائج بأفضل الوسائل وحرك سلسلة القَدر ثم لا عليك فيما يخلقه الله جل جلاله بعد ذلك. وقد روي عن عمر جوابه لمن قال له أَتَفِرُّ من قدر الله ياعمر: فأجابه بقوله ويلك: ((..نَفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله))[1]، إن الاستسلام للقدر هو من أفعال الضعفاء فقط، أما الأقوياء فإنهم هم يصنعون القدر وهذا ما قصده ياسين بفكره الثاقب وبصيرته المستنيرة، فلا حجة لأحدٍ بالقدَر. ويرد الله تعالى على الجميع رده على المشركين إذ قال: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم)[2]. فجعل تعالى التستر بالقدر تكذيباً، ومن الصدق المقابل لكذب المكذبين صَدْمُ القضاء النازل بالدعاء الصاعد ومنازعتُه به، والدعاء أقوى الأسباب. قال رسول الله ﷺ: "لا يرد القضاءَ إلا الدعاءُ، ولا يزيد في العمر إلا البر"[3].

وينقل ياسين عن الشيخ عبد القادر قوله: «..إذا كان القدر لا يُمكِنُكَ ردُّهُ ولا تغييرُهُ

(١) كان ذلك حينما أصيب الجيش بالطاعون في أرض الأردن، وكان عمر في زيارة لهم فقفل عائداً إلى المدينة خشية من الطاعون، ينظر: منهج القرآن في القضاء والقدر، غريب: محمود محمد، الناشر: دار القلم للتراث، القاهرة، ط٢، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، ص١٣.

(٢) الأنعام: ١٤٧.

(٣) أخرجه الترمذي والحاكم عن سلمان رضي الله عنه وأشار السيوطي إلى صحته.ص١٢٥-١٢٧.

ومحوُهُ ومخالفتُهُ، فلا تُرِدْ غيرَ ما يريد.. إذا كان لا يريد شيئاً لن يتم فلا تتعب نفسكَ وقلبكَ فيه. سلِّم الكل إلى ربك تعالى. تعلق بذيل رحمته، فإذا أنت متَّ على هذا، هانت عليك الدنيا وهانت عليك مصائبُها، ...من عرف هذا الحال لا يطلب غيرَه"[1]، ويؤكد ياسين أن المقصود بالعدل حيثما ورد، يقصد به: (العدل بين الناس في الحكم)، والعدل في الأرزاق حين تُنتَجُ وحين تُقسَّم، والعدل مطلب تنشُده كل الأمم ولاسيما أمة الإسلام اقتضاءً من النظام العالمي العولمي الطاغي في الأرض، والعدلُ بين الناس جميعا أبيضِهم وأسوَدِهِمْ مطلب أساسي ينبغي أن يتصدر برامج الإسلاميين وهم على عَتبَةِ المسؤولية. وهو أهم ما تتطلع إليه الأمة المسلمة وتشرئب إلى تحقيقه في الأرض،.. ويبحث ياسين عن الوسيلة المثلى لاكتساب جُند الله القائمين بالقسط في هذا العصر وما بعده القدرة والفهم لإقامة حكم إسلامي قاعدته العدل وجماله الإحسان[2]. فهو يقول: إنما ندعو إلى عدل الإسلام وأخوة الإسلام وتكافل المسلمين وتعاونهم على البر والتقوى كما أمر الله تعالى. وندعو إلى أخلاق الإسلام وقيمه، وحرية الإنسان وحقّه في معرفة ربه، وحقه في الكـرامة والأمْـن والرزق، وواجبَه في المشاركة في جهاد الأمة لتحرير الأمة من براثن أعدائها، واقتناء وسائل التقنية المتطورة لمصاولة القوى الرأسمالية العسكرية العولمية.

(١) ينظر: الاحسان، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١٢٦.

(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ٦-٨.

المبحث الثاني:
أثر عبد السلام ياسين في بنية العقل الإنساني

وفيه مطالب:

المطلب الأول: فلسفته العقلية.

في فلسفته العقلية وقدرته على التمييز بين العقول يقول ياسين متسائلا: أليس التركيب العقلي للناس واحداً، وهم إمَّا ذكي مثقفٌ، وإمَّا أميٌّ في دركة ما من دركات الأمية؟ وهل من فرق جوهري بين عقل من يستقي من حوض اللاييكية[1] وينظر بمنظار مستعار، وتجري في دمائه ثقافة تيارات فلسفية متطورة متدرعة بالحجة، وبين عقل غيره من الناس.؟

أما عن الوحي بوصفة أصدق معرفة عرفتها البشرية، فقد تكلم فيه علماء النفس والمستشرقون وصنفوه إلى جانب الظواهر المرضية الشاذة..أمَّا المؤمنين فلهم ما به يستهدون من ضلالات العقل المعاشي الأصم الذي يصطدم خفاشه بنور الوحي فلا يزداد إلا ضلالاً، مع المؤمنين كتاب الله تعالى خالق الإنسان ومركب مداركه وهادي من يشاء إلى صراط مستقيم. من هنا تبدأ خصوصية العقل المؤمن واختلافه الجوهري عن

(١) قال ياسين: اللاييكية عزل الدين عن الحكم، وفصله عن الدولة، وتهميش الشرع ليتولى القانون الوضعيُّ وحده السيادة في المحاكم ودواوين الحكومة وتفاصيل العقود ومُجمل الدستور. وليكون القانون الوضعيُّ سيداً مطلقا في حياة المسلمين العامة، وليُزْوَى الشرع في حياتهم الخاصة. ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام،ص٤٦٩-٤٧٠.وينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤. وأنا سأبقي على هذا المصطلح كما هو حيثما ورد احتراما للداعية المرحوم الشيخ عبد السلام ياسين.

(العقل المشترك) بين البشر، عقل النظر القائم بذاته المستقل المتأله، عقل المعاش المدبر لشؤون الحياة الدنيا، المحجوب عن حقائق الغيب لأنه لا يسمع من الوحي ولا يهتدي بنور الوحي. فليست المسألة اصطلاحاً يفرز العقل المؤمن الآخذ عن الله على حدة، والعقل المعاشي على حدة أخرى، بل هو فرق جوهري، فليس الأمر فرقاً في الدرجة بين العقلين بل هو اختلاف نوعي وجوهري، للعقل المعاشي مجال واسع للتفكير والتدبير المنطقي في نطاق الكونيات، متى حاول هذا العقل أن يقتحم ما فوق طوره هامَ في بحور الفلسفة والأطروحات والتقديرات... هذه بديهية من بديهيات العقل البشري الساذج تتلفها الفلسفة وتدكها دكا وتردمها في ركام التقديرات، ولاسيما إذا قبل هذا العقل أن يكون هو بذاته مصنوعاً لنفسه وبنفسه[1].

ثم يسخر ياسين من دارون ونظريته التطورية قائلاً: وهكذا القرد الذي طور نفسه زمانا بعد زمان حتى استوى قائماً، واستعمل الآلات الحجرية فنمَّى عقله، ووسع جمجمته، وأثقل وزن مخه، وتعاظم ذكاؤه، ونثر عن بشرته الزغب، وقوَّم أنفه، وسوى خلقه، ونطق بالكلام همهمة بعد إشارة، ثم لغة فلغات أخرى، ثم علوماً مختلفة ففلسفةً. وهكذا يدور العقل المعاشي الفيلسوف في منطق مغلق لـمَّا انسدت مسالكه وانحبست قنواته وعميت عينه وصمت أذنه عن السماع من الوحي[2]. دارون هذا الفيلسوف الكبير تبلور مذهبه وترسخت لديه عقيدته وفق هذا الفهم لما زار جزر الجلاباجوس[3] وتتلمذ هناك على طبيعة صمَّاء انعزلت عن القارة ملايين السنين فطورت لنفسها نمطاً للحياة..

(١) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤-٥.

(٢) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٦.

(٣) قال ياسين: جلاباجو بالإسبانية تعني سلحفاة. ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٥-٩.

وصعد دارون على ظهر السلحفاة الأستاذة فانجلى له المذهب التطوري الذي خرج به على الناس. واستقرأ ما في هذه القارات سهلها وجبالها، قاحلها وعامرها، فوجد أن قانون التطور عام في الطبيعة التي تصنع نفسها بنفسها، وتتطور وفق البيئة المتطورة[1].

وفي الجانب الآخر ينتقل ياسين للتدليل على المعين العقلي الحقيقي الذي غفل عنه دارون فيقول: فاجأ الوحي النبي ﷺ وأفزعه، لأنه لم يكن ينتظر الحدث الجلل. قال تعالى يخاطبه فيما بعد: ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[2]. جاءه الوحي وأمره بالقراءة. وعلمه الجواب الإجمالي عن السؤال الفطري الذي يلح على القلوب السليمة، ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[3]. كان الجواب بأن الله هو الخالق لهذا العالم لا الأصنام، ولا الطبيعة، ولا السلحفاة الماكرة في جزر الجلاباجوس[4]. ثم بيَّن كيفية خلق الإنسان في أحشاء ظلمة البطن، علقة ثم خلقاً بعد خلق حتى استوى هذا المخلوق وخرج إلى الوجود الخارجي كإنسان مكرَّم وليس قرداً أو سلحفاة.

وحمل ﷺ الرسالة إلى العالمين والتي من مبادئها الأساسية معرفة الخالق وتوحيده وعبادته.. ثمَّ اختار العلي الحكيم سبحانه وتعالى أمة أمية فارغة من كل علم، قليلة البضاعة من مكتسبات الحضارة، جاهلة سرعان ما تتعلم لتكون بعد فترة وجيزة أستاذة العالم فولد العقل المسلم في فناء الكعبة، في المسجد الحرام، فبدأ تاريخ الإسلام وتاريخ العقل الإسلامي وولدت الشورى من رحم العقل المؤمن بالله ورسوله.

---

(١) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٥-٩.
(٢) الشورى: ٤٩.
(٣) العلق: ١-٢.
(٤) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٢٣.

بينما ولد العقل الفيلسوف في الساحات العامة. في ساحة المشائين اليونان.. ثمَّ ولدت الديمقراطية جنباً إلى جنب مع الفلسفة،.. وولدت القانونية الرومانية في جنبات «الفوروم»[1].. إذ كانت المحاكم والمتاجر والمصارف والمعابد، ووسط الساحة كانت تعقد التجمعات والحفلات العامة التي كانت هي المظهر الأكبر للتدين[2]. كان الدين على هامش الحياة مقارنة بالتجارة والقضاء والمال. وكانت الوظيفة الاجتماعية الوسطى المركزية هي الوظيفة السياسية للساحة العامة. فولد العقل الغربي نزيلاً على عنصرية الديمقراطية اليونانية التي كانت الإنسانية لديها إنسانيتين:

-إنسانية المواطن الحر الذي يتمتع بكل حقوق السيادة.

- وإنسانية العبيد الذين لهم حق البقاء فقط في الحياة ماداموا يطيعون السيد..

فيقرر ياسين أن للعقل البشري مسيرتين: مسيرة انطلقت من مكة(البيت الحرام). ومسيرة أخرى مختلفة انطلقت من الساحات العامة بأثينا وروما وكان لكل من العقلين شأن في التاريخ، ولا خلاص لنا من أوهام السياسية والحداثة والعقلنة مالم نتبين بالفحص المعمق أي العقلين أهدى سبيلاً [3]. وأيهما أجدر بالاتباع.

فلما جاءت الديانة النصرانية إلى روما وأثينا وسائر ديار الغرب وُجِدت والمكان عامر بالساحة وعقلية الساحة. فزاحمت لتتصدر الحياة، فلم يتأت لها شيء من ذلك، فأقبلت الكنيسة الوافدة على مكان عامر بالأصنام والتماثيل. فأدخلت في طقوس عبادتها فنية الكورال الغنائي اليوناني، وبهرجة لباس الكاهن وترتيب مذابح القداسة. وعلقت

(١) قال ياسين: وهي اللفظة اللاتينية للساحة العامة، ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١٥.

(٢) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١٥.

(٣) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١٦.

المصورات والإيقونات والصلبان. ونصبت المنحوتات. ورفعت الأعمدة الرخامية.. فعادت من ديانة التوحيد التي بعث بها المسيح عليه السلام إلى الوثنية الرومانية. إذ حَرَّفت دين المسيح عليه السلام بالشرك الثالوثي وعقيدة الصلب والفداء وغيره من الوثنيات الرومانية، فولدت الديمقراطية العنصرية، وولد العقل الغربي المتشبع بالقانونية الرومانية والأسطورية اليونانية وثنياً مادياً.

بينما في الإسلام احتضن الوحي الإنسان المسلم، وكيَّفَ آلة عقله المعاشي، وصبغه بصبغة الله. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾(١). كسَّرَ الإسلام الأصنام الحسية والمعنوية خطوة خطوة ونقل العقل الإنساني من الولاء للأوثان إلى الولاء لله الواحد القهار فوقف العقل المهتدي على عتبة الفطرة يسأل السؤال الفطري عن الخالق وعن المصير فأخبره الوحي بوحدانية الله وأخبره بالجنة مآلا للمؤمنين وبجهنم مثوى للمتكبرين. ووصف له الجنة والنار وصفاً كأنها رأي العين(٢).

.. فحينما نتحدث عن الاختيار بين عقلين وعقليتين، فإنما نختار:

– إما سيادة الوحي خالصاً مُخْلَصاً يُسْتقى من نبعه المحفوظ دستور الحياة متمثلاً في كتاب اللهتعالى وسنة رسولهﷺ.

– وإما سيادة الساحة التي سكنت العقل الغربي واحتلته بماديتها وعنصريتها وضبابية أهدافها.

ولا شك أن الوسط الاجتماعي العربي الثقافي، تفاعل مع الوحي تأثراً وتأثيراً. لكن التأثير كان حاسماً وقوياً لضعف المكان وقوة الوارد.

بينما وارد النصرانية واليهودية كان على مكان عامر بالثقافة الفلسفية والديمقراطية

(١) البقرة،: ١٣٨.

(٢) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١٧.

العنصرية والقانونية الاستعمارية فتأثر أكثر مما أثر، وأخذ أكثر مما أعطى، وامتزج واختلط. فطردت الفلسفة التنويرية الثورية الكنيسة من سدة السيادة منذ الثورة الفرنسية فارتفعت الكنيسة من الساحة تاركة ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، وبقيت القيصرية والمادية الوثنية مطلقة تصول وتجول[1].

.. وفي الإسلام لم يُقصِ الوحي العقل المعاشي المدبر للشؤون الحياتية. بل نصبه أميراً في مجالاته المشتركة بين البشر حينما قال رسول الله ﷺ للأنصار في مسألة تأبير النخل: "أنتم أعلم بأمور دنياكم"[2]. ولم يعتقل الوحي العقل المدبر المبتكر اليقظ المتفاعل مع الأحداث فيعرف الضار من النافع، لذلك كان رسول الله ﷺ يستشير أصحابه ويستطلع رأيهم ويتوسط في خلافاتهم فيما يرجع للرأي والمشورة. مجتهدين في التطبيق حسب الاستطاعة والمقدار الموفي بالغرض، وحسب الزمان والمكان.. وكان الوحي واصلاً بين رسول الله ﷺ وبين القدس الرباني. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[3][4].

ثم يبين ياسين أهمية بنية العقل المسلم فيقول: بدأنا بالاستيناس بالمجاز الدارويني للوقوف على حقيقة من الحقائق الجوهرية التي يبسطها الوحي بسطاً، ويكررها تكراراً، ويضرب لها الأمثال، تلك هي حقيقة أن العقل عقلان، لا عقلاً واحداً.

أولاً: العقل في القرآن فعل حاسة باطنة في الإنسان تسمى القلب. فالعقل إذن هو:

(١) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١٨.

(٢) مسلم: صحيح مسلم: تحقيق: مجموعة من المحققين: دار الجيل-بيروت، (٦٢٠٣)، ج٧،ص٩٥. ومحنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٢٤-٢٥.

(٣) الكهف: ١٠٥.

(٤) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ٢٦.

تلقٍ لحقائق الوحي بواسطة القلب. والفقه في القرآن: هو علم ينشأ في قلب الإنسان.

ثانياً: العقل المعاشي، وهذا العقل (مشترك بين البشر)، إما أن يكون آلة للقلب يخدم تطلعات القلب إلى خالقه، وإما أن يكون آلة للهوى المتأله، أو للنفس والشهوات، أو للفلسفة والتأملات[1].

وكمال العقل المعاشي أن يخدم القلب وتطلعاته خدمة متزامنة متساوقة مترابطة هنا وهناك. هنا في الكون حيث يشترك مع كافة البشر في طرق تحصيل علوم الكون. وهناك وراء سجف الغيب من حيث لا تتأتى له معرفة إلا باستماعه للوحي.. يحدث للعقل المؤمن بالله المصدق للوحي عورٌ إذا أغمض عينيه عن المدارك المشتركة، وعجز عن التعلم من الكون، وترك آلته للإهمال والصدأ. وذلك نقص من حقه، وقصور عن فهم رسالة الوحي الذي أنبأ بأن الله سخر لنا الكون وأمرنا أن نسير في الأرض نستعمرها[2].

ويضل العقل الأعمى المعرض عن الوحي فلا يهتدي سبيلا إلى سعادته الأخروية وإن كان بصيراً بسبل رخائه المادي في الدنيا ولاسيما حين يحول كُفْرُ الكافر بينه وبين ضوئيات الوحي، ويقطع الشك مُوَصِلاته مع مصادر السمع. قال الله تعالييصف حال الكافرين مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ.وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾[3]. فهؤلاء لا يسمعون الكونيات مع أنهم يبصرونها. لكنهم كما وصفهم القرآن الكريم : ﴿ صُمٌّ

(١) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٧.
(٢) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٨.
(٣) يونس: ٤٢-٤٣.

بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُون ﴾[1][2]. وقد ينحط عقل المعرض عن الوحي المنازع ربه على السيادة المتأله المتجبر المستكبر، إلى درجة الحيوان. لدرجة أنه أصبح يفتخر بحيوانيته، ويعتز بقرديته. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا..﴾[3]. لهم قلوب العضل الصنوبري التي تمرض من ترف الحضارة، ومآكل الشره، وضغوط هموم المدنية الصاخبة، ولكن ليس لهم قلوب الفقه عن الوحي، ولا آذان الاستماع للوحي ولا أعين الاستنارة بالوحي. ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[4]. ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[5]. قلوب مطبوع عليها، مختوم عليها، موضوعة عليها الأقفال. أقفال هي صنعتها بعنادها وكبريائها وتفاهتها القردية[6].

المطلب الثاني: أثر العولمة في إعادة تكوين العقل المسلم.

من أوائل الأشياء الطارئة على الفكر الاسلامي هي ماعُبِّر عنه بالعولمة[7] وقد وقف ياسين منها موقفا ناقداً فقال: وهي بحق: جاهلية ما بعد القرن العشرين، وتعد مساراً

(١) البقرة:١٧.
(٢) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام،ص٩.
(٣) الأعراف: ١٧٩.
(٤) الأعراف: ١٧٩.
(٥) محمد: ٢٣-٢٤.
(٦) ينظر: محنة العقل المسلم، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١٠-١٤.
(٧) قال عنها ياسين: هي هيمنة جاهلية في ميادين الاقتصاد والمال والأعمال والثقافة والسياسة والمصير التاريخي السائرة به، وهي بحق: «جاهلية ما بعد القرن العشرين»، العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٦.

خطيراً يقتضي من المسلمين تشكيل حاضرهم ومستقبلهم على ضوء ما أوحى الله تعالى به إلى رسوله محمد ﷺ، وليس وفق ماتمليه الدوائر الغربية من البرامج والخطط التي تضمن هيمنته ومصلحته.

يقول ياسين: فنحن في حياة رثة وهامشية نجلس حول مائدة الحداثة، والتي من أهدافها:

١-خراب العالم الإسلامي واستمرار تخريبه بأيدي أعداء الإسلام.

٢- ومن أهدافها عزل الدين وجعله غريبا في أهله.

٣- ومن أهدافها أيضاً مساندة هذه الأشكال من الحكم التي يُستدعى إليها الإسلاميون ليزينوا واجهة الديمقراطيات الملهاة أو يُقصَوْن عنها إقصاء أو يُسْتَدرجُون إلى مغاوي العنف ومهاويه[١].

وقد تسببت دعوى العولمة بدمار نفسي واجتماعي خطير حينما طرَقَت أبواب المسلمين وولجتها واغتصبتها عقلية تِقْنَوية تُزْري بالدين وتنشب أظفارها في جسم الأمة الإسلامية فتجهض كل محاولة لانتشال المسلمين من وَهْدة عوَزهم وفقرهم وتخلُّفهم، ولن يعيد الأمل إلى نفوس الأمة إلا باستعادة الثقة بالنفس والعزم على التصالح بين فئات المسلمين وعودتهم إلى التمسك بالعروة الوثقى وهي كتابِ الله وسنة رسوله ﷺ.

ثمَّ ينبه ياسين على فئة خطيرة ومتلونة وهي التي أسماها بـ (المعتزلة الجدد) وهم في حقيقتهم غرس من غِرَاسَ الاستعمار في أرض المسلمين، وعلى كل حال هم الوجه الآخر من وجوه العولمة، يقول ياسين: وكنت قد أسميتها «العلمانية[٢] جريا على اصطلاح وَضَعَهُ

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٦-٧.

(٢) علمانية: كلمة حديثة غير معروفة للقدماء، وهي بفتح العين مشتقة من العالم، ممَّا يعني أنَّ معتنقيها ينكرون الإيمان بعالم الغيب وما يتعلق به. وفي حالة كسر العين يعني أنها مشتقة من العلم في مواجهة

من يعنيهم أن يُمَوِّهوا الحقائق بالأسماء الجذابة، إنها عملية عدوانية تشن على الدين إنها اللاييكية.

إذ كانت في أوربا مكسَباً كبيراً للعقل على ظاهرة الخرافة، وللحرية على الغطرسة. كانت ضحايا الكهنوتية على مدى قرون مَعْلَمات للمقاومة الشريفة التي أبداها بْرُونُو فحرقوه، وغاليلو فسجنوه، وديكارت فأهانوه، اضطهدت الكنيسة كل فكر حر، حتى إذا نجحت الثورة الفرنسية وأسقطت الملَكية طبقت البورجوازية المنتصرة شعار الفلاسفة: «اشنُقوا آخر أرِستُقراطي بأمعاء آخر قسيس». وأقامت البورجوازية على أنقاض الحكم الملكي وعلى حطام الكنيسة نظاماً معادياً للدين. ثم تقلبت الأحوال وانتكست الثورة، ثم استقر الأمر في أوربا على هدنة بين الحكومات والكنيسة عَقْدُها الفصلُ بين الدين والدولة[1].

كانت اللاييكية نتيجة طبيعية "للفِصام النكِد" بين رجال الدين النصراني ورجال الحكم.. ولا مكان للأسى على فصل أو وَصل بين نَكِدَيْن.

كانت اللاييكية في بلاد النصارى ثورة محكومين على حكام، فلما هجم الاستعمار على بلاد المسلمين كان الحكام الغاصبون الوافدون هم الذين فرضوا اللاييكية ليعزلوا الشعوب المسلمة عن مصدر قوَّتها. وورثَهم غرسُهم من المُغرَّبين الذين تولوا الحكم من بعدهم في ديار المسلمين، وجلسوا على كراسي اللاييكية كما هي ولم يُغيروا منها إلا المظهر لإبراز الشخصية القومية الفولكلورية، واحتفظوا بالروح اللاييكية. فحينها ارتطم الاستعمار بالذاتية المسلمة فوجد مقاومة باسلة رغم غثائية المسلمين،

الجهل الذي تمثله الكنيسة التي حاربت العلم والعلماء في القرون الوسطى، وفي تعريفيها لا صلة لها بالإسلام فهي منتج غربي، ومن الخطأ زرعها في بلاد العالم الإسلامي.

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام،ص٤٦٩-٤٧٠.

فعمل رُويدا رُويدا بالقهر تارة وبالكيد تارة أخرى على تطوير سياسة فصل الدين عن الدولة وفصل الشرع عن القانون ليبقى السلطان خالصا له، ولينـزويَ الشرع في خانة «الأحوال الشخصية»، ولينزوي القرآنُ في ركن المسجد، لا تُحَرِّكُ تلاوتُه ساكن الانقياد السياسي للحاكم الكافر. تجلى قهر الاستعمار وكيدُه في تغـريب النخب المحلية وتمريرهم من «طاحون التعليم»، وتوريثهم الحكمَ. لم تتمكن اللاييكية إلا بعد الرحيل الجسميِّ للاستعمار فلما رحل سرق الخلْفُ اللاييكي ثمرة الاستقلال السياسي وأفرغوه من محتواه[1].

أنِس المسلمون بالنخب المتعلمة التي خلَفَتْ الاستعمار، واطمأنوا إلى وطنيتها، وما علموا إلا بعد حين أن هذه النخب غَرْسٌ دخيل، جذوره الجسمية منَّا، وسَقْيُهُ واستمداد عقله وروحه منهم، ففرضت النخب اللاييكيَّة مذهباً، وأقامت جداراً عاليا بين الدين والدولة وبين الشرع والقانون. من دهائهم وخبثهم أنهم حَلَّوْا الدساتير الإسلامية واستبدلوها بديباجات تمجد الإسلام، وبفصول تقرر أن الإسلام دين الدولة [2]. وقد جعلوا للمجتمع وجهين:

من هذا الجانب الدين، ومن ذاك الدولة. من هذا النقلُ، ومن ذاك العقلُ. من هذا الآخرةُ يشتغل بها المتبتلون، ومن ذاك الدنيا يقدر عليها أهلُها. من هذا الجانب من جدار اللاييكية الأصالة والفولكلور، والحداثة المتنازلة الوَدودُ. ومن هذا الجانب الصناعةُ التقليدية فُرْجَةً للسواح، ومن ذاك صناعة السماسرة الدوليين. من هذا الجانب لمن شاء المسجد والعبادة والصلاة على الجنازة بشرط أن لا يتعرض أحد لِمَا لا يعنيه، ومن ذاك الجانب الحكومة والمؤسسات العصرية والبرلمانات المطبوخـة. من هذا الجانب الفقـرُ

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٧٠.

(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٧١.

والقناعة -وهي كنـز لا يفنى- والبؤسُ والمرض والجهل والدرْوَشة كما يليق بالأتقياء، ومن ذاك الثروة والغنى والقوة. من هذا الجانب دافعُو الرشوة غصباً، ومن ذاك تجـار النفوذ ومقَرَّبُو المحسوبية. من هذا الجانب الوحيُ يستمع إلى آياته الغيبيون، ومن ذاك العقل والحس والتفاعل المُجدي والإرادة الناجعة. من هذا الجـانب الماضي يمثله الظلاميون الرجعيون، ومن ذاك أنوار الحاضر ومستقبل متطور نحو مجتمع تقدمي اشتراكي وحدوي لبرالي معاً. لا تنافر في ذلك الجانب بين اشتراكية ولبرالية منذ سقط جدار برلين وانتهت الحرب الباردة. جنس واحدٌ وحزب واحد إنهم اللاييكيون.

أزمة وإفلاس هي هذه اللاييكية التي تلبَسُ لنا تارة فَرْوَةَ الحمل الوديع وطورا تكشر عن أنياب الأسد المفترس؟ فصوروا الدين للعامة بصورة مزرية ومقلوبه ومشوهة وخبيثة، فأوجدوا ازدواجية بين فئتين من فئات المجتمع المسلم بدأت من الصدع العنيف على إثْر الصدمة الاستعمارية التي فاجأت المبانيَ التقليدية بما لا قِبَلَ لها به من قوة عسكرية وقدرة على التنظيم وبأس في العدوان ومخترعات عجيبة وبضائع غريبة وغطرسة تائهة. واكتَمل الصدع في تكوين تلامذة الطاحون الذين يمثلون استعماراً جديداً هو أخبث وألبث، استعماراً مُقَنَّعاً كونه من بني جلدتنا وينطق بلغتنا[1].! ثمَّ يبدو ياسين حائراً ومشدوهاً فيتساءل قائلاً: ما العملُ مع الغرس الكئيب ومع جدار اللاييكية وفعَلَةِ بنائه وسَدَنة بقائه؟ من أين نبدأ ننقْب الجدار للحوار؟ أم ننقض البناء من أساسه بقوتنا المتواضعة ؟ ثمَّ كيف نهدم، ولاسيما أن الشعب لا يزال وفياً لدينه لم تُصبه جرثومة الخيانة، فلابد إذن من النظرة البعيدة والنفَسِ الطويل والصبر والتدرج لنتقدم بثقة الأوفياء إلى ميعادٍ نُحِّلُ فيه مضامين الإسلام في كليات الحياة وتفاصيلها، لا بد من تَصَدٍّ، بل لابد

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٧٢-٤٧٣.

من قومة، لعلاج الأنظمة والمذاهب المستوردة الفاسدة المفسدة،لابد من قومة للدعوة للتشبث بسنة النبي محمد ﷺفي كل شأن[1].

وقد تناول ياسين أبرز الشخصيات المؤثرة في ساحة الدعوة الإسلامية وقال: «من حق رجالنا ..أن يحتلوا الصدارة إلى جانب غيرهم في ميادين الإعلام، وضرب الأمثال، والتذكير بالأبطال، يجب أن نزيل الاحتلال الثقافي الذي يملأ أفقنا بتمجيد مفكري الجاهلية وقادتها، ونعيد ذكرى علمائنا ومصلحينا وأئمتنا، فهم الامتداد الحي لصاحب الرسالة ومَعِينِ الكمالِ سيدنا محمد ﷺ، ومن هؤلاء المؤثرين في مواجهة دعاوي التغريب واللاييكية الشيخ الإمام حسن البنا[2] الذي عمد إلى تربية نشء جديد لا يَفْصِل بين التربية الإيمانية القلبية وبين الدراية الفكرية، ولا بين المسجد وساحة القتال، ولا بين العبادة والسياسة، ولا بين التبتل وترويض الأجسام وحمل السلاح[3]. وقد أضاف إلى هذه الشخصية شخصيات كبرى في عالمنا الإسلامي كالندوي والنورسي وغيرهم، ثم نبه على أهمية العرب في نفوس العجم ودورهم في بعث الأمة من جديد وفق الكتاب والسنة النبوية الشريفة [4].

فإذا تضافرت هذه الجهود يمكنها نقب أو نقض جدار اللاييكية كما يرى ياسين في فلسفته المعاصرة.

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٦٥.
(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١١٤- ١١٥.
(٣) ينظر: رجال القومة والإصلاح ، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١١٥-١١٦.
(٤) ينظر: الإسلام والقومية العلمانية، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص١٧٠.

المطلب الثالث: أثر وسائل التربية والإعلام في بنية الفطرة الإنسانية

أدرك عبد السلام ياسين اثر وسائل الإعلام في المجتمع وأهميتها، ولأجل هذا تجده يقول: إن دنيا العولمة سببت انفجاراً تلفزيونيا إعلاميا معلوماتيا يستأْثر بالأذهان والأوقات والأعمار والأخلاق، يَسْرِقها ويستهويها ويلعب بها في ضوضاء ملهية عن الجد في كسوب الدنيا وعن الاستعداد للآخرة. فالدنيا العولمية مأْدُبة لئام من حيث قسمة الأرزاق ما بين شمال مُتخم وجنوب مُفَتقَّر منهوب[1]. وقد وَلَغَتْ البرامج التلفزيونية(وهي طليعة من طلائع العولمة) في حَرَم الأسرة فزادتها تفكيكاً، وغرزتْ خُرْطُوم مُنَوَّعاتها المبتذلة في أحشائها، وسَرقَت الأطفال من أمهاتهم وآبائهم، وقتلت الوقت فلم يبق لواجب الاتصال الحميم بين الآباء والأبناء فرصة. فضلاً عن بعض النماذجُ التربوية الساقطة التي زرعت الألغام في أرض فطرة النشء، حتى تُعرَضَ في الثانوية والجامعة على الفلاسفة الذين عَقُّوا الدين وعقّوا الأمة، واغتالوا أجيال المسلمين في أعزِّ ما تَرْصُدُهُ الأمة لمستقبلها، ألا وهو توحيد الله والإيمان بالله وباليوم الآخر، والعبودية لله تعالى.

يَرَى المغرَّبون المطحونون أن داءَ الأمة هو في الإيمان بالغيب من دون مناقشة، وهذه منهجية تحول دون اكتساب العقلانية المُحرَّرَة ودون الانفتاح على الواقع للتأثر به والتأثير فيه.. فيُعَلِّمُونَ الناشئة أولَ ما تُلقيها إليهم في الثانوية والجامعة يدُ الإهمال منهجيةَ الشك، ويشحذون في نفوسهم وعقولهم حاسة الشك والنقد الشامل، وقرروا أن العلة المنهجية في فكر المسلم هي التسليم بلا نقد، ذلك التسليمُ الذي يكَوِّنُ مناخاً عاماً يشمل الحياة بأطرافها، ويعم العلاقاتِ السياسيَّةَ وغيرها إذ تسود الطاعة العمياء

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٨-٩.

والانقياد لكل من غلب وتسمّى أميراً للمؤمنين، ويعم الحياة الاقتصاديَّة، إذ يتواكل المؤمنون بالغيب على الرزق يأتيهم من السماء، فيعم الكسل ويكثر العاطلون الذين لا يُنتجون، فتصبح الطفيلية أصلاً من أصول علاقات اللاإنتاج، وسبباً من أسبابه[1].

ينتقد الشاكُّون المجتمع المسلم المستعمَر بأنَّه محكوم بميتافيزيقية الإيمان بالله وباليوم الآخر، فيجد لكل حادث تفسيراً غيبياً يرسله إلى أسباب غيبية وهمية وعلل خفية، وبهذا يمكُثُ متخلفاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

إذ ينتقد الحداثيون العقل المسلم بأنه يُرجِع الاستعمارَ والاحتلال اليهودي لفلسطين وكل كارثة جلبها على الأمة كالكسلُ والعجزُ والجهلُ والتخلف إلى القدَر الذي لا حيلة معه، وإلى الشيطان المُشَخَّص في (أمريكا واليهود)، ينتقدون العقل التقليدي الغيبي، وكل كلمة يكتبها الإسلاميون وينطقونها فهي في نظرهم ظلامية قبل كل نقاش، يهزؤون بنا ويقولون بأن عقولنا لاتعي الواقع وليس لها إلا جوابٌ واحد عن كل تجديد وتحديث وتقدم في الفكر والسياسة والاقتصاد: هو أنه كفرٌ وانحرافٌ وشططٌ(٢).

ويصف الفلاسفة الملحدون الدواء للأمة الإسلامية هو فقط في التبني المطلق للعقلانية، لا يميزون بين العقلانية الفلسفية المستكبرة الجاحدة المتمردة على الله تعالى، وبين العقلانية العلمية الاكتشافية المتتلمذة على ما وضع الله تعالى من أسرار في هذا الكون.

لا تقبل عقلانية الفيلسوف الجبار أن "يعزل العقل نفسه" بعد أن يثبتَ لديه ضرورة وجود خالقٍ لهذا الكون، وجوازُ بِعثة الأنبياء، وحصول المعجزات في التاريخ تزكيَّة وتأييداً للنبوءة والرسالة. لا يدخل شيء من همِّ السؤال الوجودي: "من أنا؟" و"إلى

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٥٥.
(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٥٥.

أين؟" في حساب العقـلانية الفلسفية التي تعبد نفسها وتدور في رَحَا "المعرفة للمعرفة"، المعرفة من الحـس وفي الحس وإلى الحس. كل ما عدا الحسَّ عندها خيال وخبال. ولا تُمَيِّز العقلانية الفلسفية بين أنواع الشك الآتية[1]:

– الشك المنهجي الذي يبحث في وجود الله تعالى واليوم الآخر، ثمَّ ينتهي إلى نتيجة ما.

– وبين الشك العلمي، شكِّ المكتشف الذي يباشر الأشياء ويجرب ويشك في نتائج التجربة ويتحقق ويراجع، ولكن هذا النوع من الشك لا يستطيع أن يبرح عالمه التجريبي.

يريد هؤلاء منهجيةً واحدةً: بَاردةً مسيطرةً واقعيةً وضعيةً لا تؤمن إلا بالحس، ترصده لا تَعْدُوه ولا تلتفت عنه ولا تسمع من غيره، أولُ شيء يجب أن نتحرَّرُ منه هو الدينُ، ولا سبيل عندهم للتحرر من كابوس التخلف وذل الهزيمة التاريخية إلا بالثـورة الصارمة على الدجماتية الدينية [هكذا يسمون الإيمان الراسخ] لنكسب العقلانية التحليلية القادرَة وحدَها على رفعنا إلى مستوى العصر، لا يرى الفلاسفة الملحدون مخرجاً من التخلف، ولا طريقاً إلى الديموقراطية والعدل والكرامة إلاَّ في استيعاب مقدمـات الفلسفة ومنهجيتها الوضعية التطورية، مع استيعاب مقدمات العلوم التجريبية ونتائجها التكنولوجية، اعتنقوا عقيدة تقول: إنه لا سبيـل لاكتساب العقلانية التكنولوجية إلا باستيعاب الأرضية الحضارية وركائزها الفلسفية الغربية، وهي بزعمهم: حصيلة جهد يبدأ من طرح الماضي التخلفي وما فيه من خرافيات، وطرح الدين جملة وتفصيلا، ويجيب ياسين عن كل هذه الأطروحات بقوله: نحن نعتقد أن اكتساب العقلانية التكنلوجية يبدأ ببذل الجُهد لاستصفاء عقلانية صانعَة مكتشفة بتجديد الإيمان، يبدأ الجُهْـدُ بمعرفة أعداء الدين من بني جلدتنا أولاً[2].

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٥٦.

(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ٤٥٧.

هؤلاء العاقُّون الذين يقول أحدهم: «إن الله عند جَدي يتمثل في شخص طيب، رحيم غفور تواب، يداوي الروماتزم ويقوي المفاصل، وعند أمي مأذون يجمع رؤوس بناتها على رؤوس عُرْسان أغنياءَ، وهو عند الأطفال يشبه عروسة المولد، وهو عند أينشتاين معادلة رياضية، وهو عند عاشق مثلي حب، وهو عند مشايخ الطرق وزير للأوقاف يوزع الكساوي والمعاشات، وعند الملحد موضوع دراسة، وعند المؤمن موضوع عبادة»[1].

ثمَّ يستمر في سلسلة الكفريات فيقول: "إن الله فكرة وهي في تطور مستمر، الله في العقل الحديث معناه الطاقة الخام التي في داخلنا، اللهتعالى هو الحركة التي اكتشفها العلم في الذرة، والعلم بهذا المعنى عبادة، والفن عبادة، والفلسفة عبادة، لأنها إدراك لهذا الإله بوسائل مختلفة»، ثمَّ يستمر هذا الجاهل في كفرياته قائلاً: «إن الله تعالى ليس فوق الجدل، وليس فوق العقل، وليس فوق الواقع، إن اللهتعالى هو العقل، وهو الواقع، وهو مجموع القوة الكونية التي تعمل لخيرنا في كل وقت، وهي قوى تقبل المراجعة والبحث والتطور»[2].

ثمَّ يقرر ياسين المخرج من هذه اللوثة الفكرية بالحوار فيقول: ما دمتم معشر الديمقراطيين، تتمسكون بإسلاميتكم وتحتجون على من يحتكر الدين من دونكم، فالكلمة السواءُ بيننا (الإسلام)، ألسنا جميعا مسلمين؟ إذا فلا بساط نجلس عليه غير بساط الإسلام. ثمَّ إن كانت الديمقراطية تُخفي تحت أثوابها العداوة للدين، ونفض اليد من الدين، فهو حوارُ أصَمّ، وكل فكر دخيل على الإسلام لا يمتثل لكلمة الله وسنة رسوله شجرة خبيثة تجتث من فوق أرض الإسلام ولو بعد حين[3].

(١) ينظر، العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٥٧- ٤٥٨.
(٢) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٤٥٨- ٤٥٩.
(٣) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ٥٨٤-٥٨٥.

مرحباً بديمقراطية تحرر الأمة من أغلالها لتختار من يحكمها، مادمنا قد اتفقنا على خير نسديه للأمة، ومشروع تـنمية وتحرير وعتق رقاب من نير الاستعباد، وهلموا إلى مجتمع أخوي قاعدته جماعة المسلمين المتآلفة من أحزاب سياسية، إنه يا قوم الإسلام أو الطوفان، لأن الاختلاف بآدابه ونظامه المؤسسي إثراء لفكر الأمة، ونطلب جميعا المصلحة العامة إن كان رائدَنا الحقُّ والعدل.[1]

(١) ينظر: العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٥٨٦-٥٨٧.

الخاتمة وبعض النتائج

نخلص ممَّا تقدم أن ياسين كان مفكراً ومتكلما بارعاً إذ جعل من الأشعري مثلا يحتذا به، .. وشهد "ياسين" بأن اعتقاد الأشعري هو اعتقاد أهل السنة. وكل من لم يتمعزل في زمانه من أهل الرأي كان على مذهبه[1]".كان ياسين يجمع ولا يفرق وبعيداً كل البعد عن إقصاء الآخرين وتهميشهم وهذا شأن معظم رجال الدعوة،، ومع أنه هو ما هو في احترام الآخر وتقديره فإنه جعل لمنهجه هذا حدوداً حتى لا يُستغل من أعداء الحرية فكان بحق خير خلف لخير سلف، متخذاً من أمير المؤمنين عمر قدوة له في قوله ((أنا لست بخب ولا الخب يخدعني..))[2] ومن هنا فقد أخرج الفرق الضالة من معادلة الدعوة والدولة، فأنزل كلاً في منـزلته التي يستحقها[3]. أما عن أثره في مسيرة الدعوة فإنها لا تنكر بدلالة مؤلفاته الغنية والهادفة وبدلالة الألسنة التي تدعو له وتثني على جهوده في كل عصر ومصر.

وهذه بعض النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

- إن عبد السلام ياسين قد أدرك أهمية إحياء التراث الفكري لعظمائنا وضرورة إبرازهم بين الأمم وكان منهجه الفكري والكلامي ينطلق من هذا المبدأ.

- أكد ياسين أهمية وسائل الإعلام في الحرب الفكرية والدعوية وآثارها المختلفة على الساحة الإسلامية والعربية فحث على امتلاكها وتسخيرها في خدمة الدعوة.

(١) ينظر: الإحسان، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٣٨٧-٣٩٤.
(٢) ينظر: الإحسان، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص٣٢٣.
(٣) ينظر: الإحسان، ياسين: الشيخ عبد السلام، ص ٣٨٨.

– فرَّق ياسين بين ولادة العقل المسلم المهتدي بهدي القرآن الكريم، وولادة العقل المعاشي الذي يتطَلَّع عبثا لِلَعِبِ دورٍ فوق طاقته وخارج عن نطاقه الذي خلق من أجله.

– حذر ياسين في وقت مبكر من دعوات العولمة والعلمانية التي تهدف إلى إقصاء الدين من الحياة، وبالتالي ضياع بوصلة الأمة العقائدية والدينية، وعبَّرَ عنها باللاييكية.

– حذر ياسين في وقت مبكر من المفتونين بالحضارة الغربية وحذر من مخططاتهم السياسية في المنطقة ونبه على آثارهم الإجرامية في الجزائر والبوسنة والهرسك والصومال وغيرها.

– نبه ياسين إلى وجوب الحذر من مخططات الغزو الفكري والعسكري في عالمنا الإسلامي، وأوجب على ولاة الأمور الاستعداد لهذا الغزو ومقاومته بالسبل والطرق الممكنة.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت إلى إبراز إنتاج وفكر عَلَم من أعلامنا في الفكر والدعوة والعقيدة الإسلامية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

قائمة المصادر

١-أبو الحسن الأشعري، السعدي: حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي، نشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٦، ١٣٩٤هـ - فبراير ١٩٧٤م.

٢-الإحسان،ياسين: عبد السلام، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨ م.

٣-الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

٤-الإسلام والقومية العلمانية، ياسين: عبد السلام، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، جمهورية مصر العربية، ط١، ١٩٨٩م.

٥-الإسلام أو الطوفان: ياسين: الشيخ عبد السلام، ط١، ١٩٩٨م لا شيء على الكتاب.

٦-الباقلاني وآراؤه الكلامية،عبد الله.د.محمد رمضان، مطبعة الأمة،بغداد،١٩٨٦م.

٧-التراث والتجديد، حنفي: د.حسن، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١.

٨- تنوير المؤمنات، ياسين: الشيخ عبد السلام، مطبوعات الأفق الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦م.

٩- جريدة التجديد، مجذوب: عبد العلي، [موسوعة سراج(المكتبة الألكترونية للأستاذ عبد السلام ياسين)].

١٠-الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، المكي: أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني، بتحقق: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١١- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ابن

تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام، بتحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

١٢- رجال القومة والإصلاح، ياسين: الشيخ عبد السلام، مطابع إفريقيا، الشرق، ط١، ٢٠٠١م.

١٣- سنة الله، ياسين: عبد السلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥ م.

١٤- صحيح البخاري: البخاري: تحقيق. د.مصطفى ديب البغا: دار ابن كثير، اليمامة-بيروت-ط٣- ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٥- صحيح مسلم: مسلم: تحقيق: مجموعة من المحققين: دار الجيل-بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

١٦-الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، علي: أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٧- العدل، ياسين: الشيخ عبد السلام، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء. ط١، ٢٠٠٠م.

١٨- محنة العقل، ياسين: الشيخ عبد السلام، مؤسسة التغليف والطباعة والتوزيع للشمال، الرباط. ط١، ١٩٩٤م.

١٩- المنهاج النبوي: ياسين: الشيخ عبد السلام، لا شيء على الكتاب لعله طبع بفرنسا، ط٢، ١٩٨٩.

٢٠-منهج القرآن في القضاء والقدر، غريب: محمود محمد، الناشر: دار القلم للتراث، القاهرة، ط٢، ١٤١٩ ه ١٩٩٨ م.

٢١-المواقف، الإيجي، الإيجي/ عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد،المواقف في علم

الكلام ، بتحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان- بيروت،ط١، ١٤١٧هـ.

٢٢- الولاء والبراء في الإسلام، القحطاني: محمد بن سعيد بن سالم، دار طيبة، الرياض السعودية،ط١، بلا تاريخ.